

الأساس فهي الطب النفسي الافتراضات الأساسية

الفصل السابع:

ملف الاضطرابات الجامعة (18)

الواحدية والذات والجسد

ثانياً: الاضطرابات المتعلقة بحدود الذات وقتوما

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD271215.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

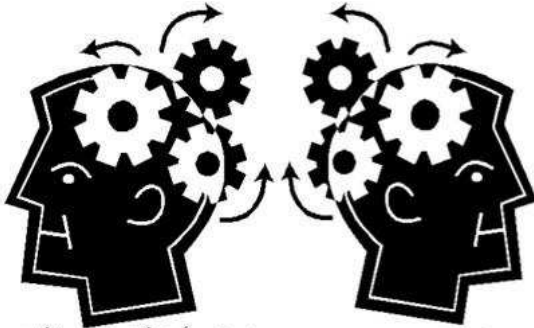
[mokattampsyach2002@hotmail.com](mailto:mokattampsyach2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/12/27  
السنة التاسعة - العدد: 3040



كثير من الأعراض السابق ذكرها تحت عناوين مختلفة، في الفصول السابقة، يستحسن العودة إليها للنظر في موقعها من هذا المنطلق عن الواحدية، وما يسمى بحدود الذات، وقبل تعداد بعض معالم الأعراض المتعلقة بحدود الذات يستحسن إعادة التعرف على المقصود بهذا المصطلح، وقد سبق لى أن توقفت عند هذا المصطلح فعلا في عملي الأصلي "دراسة في علم السيكوباتولوجي [1] وكتبت عنه ما يلي:

"... حدود الذات تعبير رمزي من ناحية ووظيفي من ناحية، إلا أننا لكي ندرك طبيعته وحقيقته يستحسن أن نترجمه إلى لغة عصبية كما اعتدنا في هذه الدراسة، فإن الذات تكون محدودة بمدى الفصل الواضح بين مجموعة من الترابطات النيورونية أساسا ومجموعة أخرى،.... حيث أنه يدب النشاط في الجزء الأقدم من المخ ويُضعف هذا الفصل بين مجموعات الترابط لأن النشاط الجديد يزاحم ويشارك في الوظائف الشعورية، ومع ضعف هذا الفصل بين النشاطين يشعر النشاط الذي كان سائدا بأنه غير قادر على التحكم في الداخل بالفصل (عصبيا) أي بالكبت (بالغة النفسية الدينامية) وكأن هذا الداخل مهدد دائما بالخروج بالرغم منه، أو بالإعلان عن نفسه، وهذا ما يعنيه ما جاء بالمتن: "فُتِحَتْ أبوابي، رق غشائي".... إلخ،



ضعف (أو) فقد حدود الذات  
العجز عن استبعاد ما ليس في بؤرة التوجه

Lax Ego Boundaries

وفيما يلي بعض الأعراض التي يمكن إدراجها تحت هذا البند:

أولاً: فقد حدود الذات: (وقد ذكرت قبلا مع اضطرابات الإرادة (نشرة 16 -3-

2015) وننبه هنا إلى ضرورة الحذر من تصور أن الفقد هنا يعني الاختفاء التام، وإنما هو يعني

"... حدود الذات تعبير رمزي من ناحية ووظيفي من ناحية

إن الذات تكون محدودة بمدى الفصل الواضح بين مجموعة من الترابطات النيورونية أساسا ومجموعة أخرى

هو ( فقد حدود الذات ) يعني ضعف التحكم إلى درجة فشل الفصل بين الذات و"اللا-ذات"، وكذا العجز عن استبعاد الذات (التنظيمات) الأخرى عن التدخل والإعاقة للذات الواجبة التي ينبغي لها أن تقود وتنظم

بعد تطور النيورولوجيا والعلم المعرفي العصبي، من الأفضل أن يصاغ هذا العجز عن الفصل بضعف القدرة على توظيفه حزمة من النيورونات والموصلات بشكل انتقائي استبعادا لخدمة الغرض الذي توطنه فيه هذه النيورونات الفاعلة في لحظة بذاتها

ضعف التحكم إلى درجة فشل الفصل بين الذات و"اللا-ذات"، وكذا العجز عن استبعاد الذوات (التنظيمات) الأخرى عن التدخل والإعاقة للذات الواعية التي ينبغي لها أن تقود وتنظم، وبعد تطور النيوروبولوجيا والعلم المعرفى العصبى، من الأفضل أن يصاغ هذا العجز عن الفصل بضعف القدرة على توظيف حزمة من النيورونات والموصلات بشكل انتقائى استيعادى لخدمة الغرض الذى توظف فيه هذه النيورونات الفاعلة فى لحظة بذاتها، ويمكن إدراج ما يلى من أعراض (على ما فى بعضها من تكرار) على الوجه التالى

**أ- بعض أعراض شنايدر** (أعراض الصف الأول كخبرة أو ضلالات) وأهم هذه الأعراض ما يتصل بظاهرة السلبية (الأفعال الإرادية المصنوعة Made Volitional Act، والعواطف المصنوعة Made Affects، والأفكار المصنوعة Made Thoughts، وكذلك إذاعة الأفكار Thought Broadcasting، وأيضاً الأفكار المسموعة Audible Thoughts، والأصوات المعقبة Voices commenting، والأصوات المتناقشة Voices Arguing. وكل هذا يعلن أن التنظيمات الداخلية استطاعت أن تنشط مستقلة، وأن تزامم وتقتحم، سواء أسقطت إلى الخارج فى شكل هلوسات وضلالات صريحة أو ظلت خبرة معيشة من الداخل كما تبدو أغلب أعراض شنايدر هذه. كذلك فإن الأفعال المصنوعة والوجدانات المقممة تشيران إلى ضعف القدرة الاستيعادية Exclusive لحزمة النيورونات الفاعلة فى لحظة بذاتها.

**ب- الآلية العقلية: Automatic obedience:** تعتبر أحد مظاهر النشاط المزاحم المستقل الذى يعلن ضعف حدود الذات.

**ج- ضلالات السلبية: Passivity delusions:** فى شكل ضلالات التأثير تشير إلى خطوة أقصى لفقد حدود الذات.

### **ضعف حدود الذات وعلاقته ببعض اضطرابات الشخصية:**

تشير هنا إلى نوعين من الاضطراب لهما علاقة أكثر بما يسمى "اضطرابات الشخصية" عما يسمى "الأعراض" وهما خواء الشخصية، وتلون الشخصية (شخصية "كأن")

**(i) خواء الشخصية:** وهذا ليس عرضاً وإنما هو سمة أو نمط يصف انعدام اتصاف شخصية ما بما يميزها حقيقة وفعلاً عن الآخرين، ويقال أحياناً لمثل ذلك: الشخصية الضعيفة أو الشخصية المهزوزة، وكما ذكرنا أمس إن الشخصية القوية بالمعنى التقليدى لم تعد موضع فخر كما شاع سابقاً، وحل محلها الشخصية "المرنة الناقدة" التى هى فى حالة تخلق باستمرار، وقد تتكون الشخصية القوية كذلك كنوع من رد الفعل بمعنى أن القوة الظاهرة هى دليل على أنها خاوية من الداخل فتكون مظاهر قوتها وصلابتها لتغطية هذا الخواء الداخلى

**(ii) "شخصية كأن" (أو "طبع كأن"):** وهى الشخصية التى وصفها هيلين دويتش بلغة تحليلية أساساً، ويتواجد هذا النوع من الطبع أو الشخصية فى الحياة العادية بدرجات طفيفة لكنها مميزة، ذلك أن الشخص العادى فى نموه وتعامله اليومى قد يتقمص شخصاً آخر - دون أن يدركه فى فهمه أكثر، أو يتعرف عليه، أو يكون مثله، وهذا أمر غير التقليد والتبعية، وهو يمارس أحياناً بدرجة من الوعى من خلال ما يسمى بالخبرات الفينومينولوجية والمُواجدة، وكل ذلك فى حدود السواء، ويمكن أن توجد درجات ما من الوجه الإيجابى لهذه الظاهرة مثل ما يمارسه بعض المبدعين وهم يتقمصون مواضيعهم وشخصهم فى بعض نشاطات الإبداع، وخاصة فى التمثيل المسرحى والقص الروائى، كما أن الممارسة الإكلينيكية الأمانة فى الطب النفسى، تعتمد كثيراً على القدرة على تقمص المريض

أهم (أعراض شنايدر) ما يتصل بظاهرة السلبية (الأفعال الإرادية المصنوعة، والعواطف المصنوعة، والأفكار المصنوعة، وكذلك إذاعة الأفكار، وأيضاً الأفكار المسموعة Audible، والأصوات المعقبة، والأصوات المتناقشة

**الآلية العقلية: تعتبر أحد مظاهر النشاط المزاحم المستقل الذى يعلن ضعف حدود الذات**

ضلالات السلبية: هى شكل ضلالات التأثير تشير إلى خطوة أقصى لفقد حدود الذات

**خواء الشخصية: وهذا ليس عرضاً وإنما هو سمة أو نمط يصف انعدام اتصاف شخصية ما بما يميزها حقيقة وفعلاً عن الآخرين**

إن الشخصية القوية بالمعنى التقليدى لم تعد موضع فخر كما شاع سابقاً، وحل محلها الشخصية "المرنة الناقدة" التى هى فى حالة تخلق باستمرار

**قد تتكون الشخصية القوية كذلك كنوع من رد الفعل بمعنى أن القوة الظاهرة هى دليل على أنها خاوية من الداخل فتكون مظاهر قوتها وصلابتها لتغطية هذا الخواء الداخلى**

إذا كان التقمص مفرطاً ووبلاً هدفه تواصلى، أو تعاطفى،

فإن ذلك قد يشير إلى نوع من ضعف حدود الذات، وبالتالي الجاهزية لفطر النفاذية حتى الإحلال

قد يتمادى هذا التقمص حتى يمارسه الشخص بشكل شبه متواتر، ومع كل أنواع البشر، فيتصرف الشخص وكأنه إناء شفاف لا لون له، ومن ثم هو يتلون بلون ما يوضع فيه من سائل

شفافية حدود الذات: صك المؤلف هذا التعبير ليصف حالة من الصلابة وفي نفس الوقت الشفافية بحيث يصبح الداخل متاحا للشوفان والإذاعة، في حين أن الذات لا تزال متماسكة محمية من الضياع والتناثر

أن الشفافية هنا حققت نوعا من التسوية المرضية، إذ أنها أعطت شرعية لظهور الداخل ليكون في المتناول، مغذية بذلك ما يسمى الحاجة إلى "الشوفان"، حتى من الداخل

تصلب (تليف) حدود الذات: استعمل هذا التعبير أصلا لوصف حالة من الجمود والاسماح التي قد تتصف بها الذات، خاصة المسماة "الشخصية القوية" كما أسلفنا، بحيث تمنع أي تبادل أو تكامل صحيين مع منظومات الذوات الأخرى

تظهر ثقب في جدار الذات هذه الحالة هي شكل اضطرابات العجز عن الكفة، وما يسمى اضطرابات عدم

بأكبر قدر من المواجهة والمسئولية. أما إذا كان التقمص مفردا وبلا هدف تواصلية، أو تعاطفية، فإن ذلك قد يشير إلى نوع من ضعف حدود الذات، وبالتالي الجاهزية لفطر النفاذية حتى الإحلال، وقد يتمادى هذا التقمص حتى يمارسه الشخص بشكل شبه متواتر، ومع كل أنواع البشر، فيتصرف الشخص وكأنه إناء شفاف لا لون له، ومن ثم هو يتلون بلون ما يوضع فيه من سائل، وأحيانا ما يفوق المتقمص هذا المتقمص، وهذا يقابل القول الشائع: إنه يصبح "ملكيا أكثر من الملك"، وقد يتقمص الشخصية ونقيضها حسب المحيطين به ساعتها، فمثلا هو مع المدمنين يصبح مثلهم وقد يبرزهم، ومع السلفيين قد يفوقهم تمسكا بالترمت، كل ذلك دون أن يشعر، حتى يشعر المحيطين به أنه مجرد تابعة (إمعه) حيث يجرى التقمص تلقائيا ولا شعوريا دون أي تعلم من كل خبرة على جده.

### ثانيا: شفافية حدود الذات:

صك المؤلف هذا التعبير ليصف حالة من الصلابة وفي نفس الوقت الشفافية بحيث يصبح الداخل متاحا للشوفان والإذاعة، في حين أن الذات لا تزال متماسكة محمية من الضياع والتناثر، والفكرة أن الشفافية هنا حققت نوعا من التسوية المرضية، إذ أنها أعطت شرعية لظهور الداخل ليكون في المتناول، مغذية بذلك ما يسمى الحاجة إلى "الشوفان"، حتى من الداخل، وبالتالي سحبت من هذا الداخل مبرر أن يضغط ليظهر ويزاحم ويقود، وكأن السماح بالاطلاع على الداخل بفضل الشفافية (أعراض قراءة الأفكار أو إذاعتها مثلا) قد خفف من وطأة ضغط الداخل لاقتحام الوعي مع ما يصاحبه من مخاطر التفسخ فالتناثر، وهذه الشفافية (الدفاعية ضد التناثر)، وخاصة في المرحلة الخبراتية - قبل أن تصبح ضلالا معقلنا- توجد أكثر في الاضطرابات الوجدانية الجسيمة، وبدايات الفصام، والفصام الوجداني، وقد تحول أو تؤخر ظهور الذهان صراحة ما دامت قد حققت ولو الحاجة إلى الشوفان، وفي نفس الوقت حالت دون التناثر كما ذكرنا.

### ثالثا: تصلب (تليف) حدود الذات:

استعمل هذا التعبير أصلا لوصف حالة من الجمود والاسماح التي قد تتصف بها الذات، خاصة المسماة "الشخصية القوية" كما أسلفنا، بحيث تمنع أي تبادل أو تكامل صحيين مع منظومات الذوات الأخرى. يظهر هذا بوجه خاص في بعض اضطرابات نمط الشخصية (وبالذات الشيزيدية والوسواسية والبارانوية) ويتحقق ذلك أساسا بالاستعمال المتواصل والمتعاضم للحيل الدفاعية (الميكانيزمات) وخاصة الكبت. وفي هذه الحالات فإن

المريض غالبا ما ينكر أو ينسى حتى أحلامه (التي تشغل ربع ساعات النوم) أولا بأول، وأحيانا بمجرد أو بُعيد الاستيقاظ. ومع بعض أحوال العلاج المكثف، أو العلاج الجمعي بالذات، وأحيانا مع استعمال مضادات الاكتئاب قد يبدأ مثل هؤلاء الأشخاص يقررون (أو يشكون من) ظهور الأحلام، وأحيانا بكثرة، وهذا قد يدل على أن هذا التصلب أصبح أقل، وأن السماح للداخل بالاقتراب أصبح ممكنا مما قد يكون علامة إيجابية، وهذا التليف (التصلب) يحول دون فرصة استمرار النمو من خلال الحوار فالتوليف مع سائر مستويات الوجود، ومع العالم الخارجي، لأنه يفقد الذات مرونتها، ويضعف من إبداعيتها، فيحول دون أي تطور أو تغير مهما عمقت التجارب.

### رابعا: ثقب في جدار الذات:



## التحكم في النزوات

ينشأ (ثقب في جدار الذات (نتيجة أي من التقاليد الشائعة في مجتمع ما، مما يخالف ما ينتظر الشخص النامي حين يكبر

أحياناً ما يكون هذا الثقب قاصراً على جانب محدود من التصرفات مثل الجانب الجنسي، أو الأمانة فيما يتعلق بالملكية (السرقه)، أو الانتزاعات الأسرية أو شرب الخمر... إلخ

إن المؤلف وصفه نوعاً من ثقب حدود الذات وهو ما أسماه الثقب الصمامي، وهو يعني أن هذا الثقب في حدود الذات ليس ثقباً دائماً، ولا هو عرضة لنفوذ النزوات بشكل عشوائي، وإنما هو وصفه لمن يطلق منه السلوك النزوي أو القهري بشكل متقطع

وصفتُ هذا النوع من الثقب الصمامي لتفسير أعراض زملة توريت Gilles de la Torette Syndrome بوجه خاص

يتم تكوين الضمير والقدرة على الانضباط الاجتماعي من خلال التقمص عادة بالوالد (ين) أو من يقوم مقامهما. فإذا كان الوالد ليس النموذج المناسب لهذا أو ذلك (الضمير والانضباط الاجتماعي) بمعنى أنه إذا كان الوالد هو صاحب سلوك مضاد للمجتمع أو ما يقال له سلوك سيكوباتي (أو طفلي نكوصي) فمن المتوقع أن ينشأ ضمير الناشئ (بالتقص) وبه نقطة ضعف نتيجة لتقص هذا الوالد بما يحمل نفس الصفات ولعل هذا هو ما أسماه إريك بيرن "حالة الأنا الوالدية ذات الثقب"، Perforated Parental Ego State وفي الممارسة الإكلينيكية تظهر هذه الحالة في شكل اضطرابات العجز عن الكف، وما يسمى اضطرابات عدم التحكم في النزوات.

ولا يقتصر سبب وجود مثل هذا الثقب (نقطة الضعف) على وجود والد غير ملتزم أو سيكوباتي، حيث أنه يمكن أن ينشأ نتيجة أي من التقاليد الشائعة في مجتمع ما، مما يخالف ما ينتظر الشخص النامي حين يكبر.

وأحياناً ما يكون هذا الثقب قاصراً على جانب محدود من التصرفات مثل الجانب الجنسي، أو الأمانة فيما يتعلق بالملكية (السرقه)، أو الانتزاعات الأسرية أو شرب الخمر... إلخ، وفيما عدا نقطة الضعف هذه هنا أو هناك يمكن أن يكون الفرد ملتزماً وعادياً

ثم إن المؤلف وصف نوعاً من ثقب حدود الذات وهو ما أسماه الثقب الصمامي، وهو يعني أن هذا الثقب في حدود الذات ليس ثقباً دائماً، ولا هو عرضة لنفوذ النزوات بشكل عشوائي، وإنما هو وصف لمن يطلق منه السلوك النزوي أو القهري بشكل متقطع، ثم يعود بعده للتماسك والسلوك العادي، ثم إنه قد يعود يطلق السلوك النزوي أو القهري بعد تراكم الضغط أو ضعف الميكانزمات الحاكمة، وهو في ذلك أشبه بوعاء الطهي بالبخار الذي كلما زاد ضغط البخار به أطلق جزءاً من البخار ليخفف الضغط ثم يعود للغلي حتى يزيد الضغط فيه وهكذا، وقد وصفتُ هذا النوع من الثقب الصمامي لتفسير أعراض زملة توريت Gilles de la Torette Syndrome بوجه خاص، ذلك أن معظم أعراض هذه الزملة تتصف بأنها مكررة، ونزوية وقهرية، ألا وهي اندفاعات البذاءة، واللوازم الحركية، والصرخة الحنجرية، والقهر الوسواسي. وبالتالي فإن فرض أن ثَمَّ ضغطاً من محتوى اللاشعور يصل إلى درجة معينة فيفجر عنه مرة بالصرخة الحنجرية، ومرة بالوسواس القهري، ومرة باللازمات الحركية، ومرة بالبذاءة اللفظية، كل ذلك مما يرجح احتمال صحة هذا الفرض.

لل- يحيى الرخاوي: "دراسة في علم السيكوباتولوجي" 1979 صفحة 172.

\*\*\* \*\*



تسبحة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل



مؤسسة العلوم النفسية العربية

معا... نذهب أبعد